المشروع المعرفي البودوني:
الأصول السوسيولوجية والمرتكزات النظرية

أ. غنية ضيف
أستاذة مساعدة قسم علم الاجتماع
والديموغرافيا- جامعة الجزائر2

الملخص:

ظهرت الفردانية المنهجية بين سنوات الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين في حقل السوسيولوجيا الأنجلو-ساكسونية متأثرة بأفكار الاقتصاديين الليبراليين، والنقاشات التي دارت بينهم في القرن التاسع عشر من جهة، وضد النظريات الشمولية أو الهوليستية من جهة أخرى.

وقد نشأت هذه النظرية في سياق خاص من التحولات المعرفية والاجتماعية، وجاءت كمعظم النظريات التي ترفض بشدة النظريات الشمولية، والتي تجعل الفرد مجرد لعبة تحركها البنى الاجتماعية وترتبط الأصول المعرفية للفردانية المنهجية بالتراث السوسيولوجي الكلاسيكي حيث بحث بودون في الأدبيات السوسيولوجية الكلاسيكية عن مرجعيات الفردانية المنهجية التي تجعل الفاعل قاعدة منهجية أساسية للتحليل، ولفهم تشكل الظواهر الاجتماعية.

قد بيّن بودون أن أصول نظريته موجودة في أعمال كل من ماركس ،فيبر، باريتو وإميل دوركايم.

سنقدم في هذه المساهمة عرضا لحفريات بودون في أعمال كل هؤلاء ، وللاطلاع على الأصول السوسيولوجية لنظرية بودون رأينا أنه من الضروري التعرض أيضا لتيارات الفردانية المنهجية من أجل التعرف على موقع النظرية العامة لفهم إسهام بودون في السوسيولوجيا المعاصرة.

الكلمات المفتاحية :

بودون؛ المشروع المعرفي؛ الفردانية؛ باريتو؛ دوركايم.

تمهيد:

أعيد في سنوات الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين توزيع خريطة التيارات السوسيولوجية بعمق تحت تأثير تحولات المجتمعات الصناعية، إذ لم تعد الوظيفية قادرة على تفسير التغيرات الحاصلة[1] بعد أن سيطرت على النظريات الأخرى خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وظهرت التفاعلية الرمزية بديل للبنيوية الوظيفية، كما ساهمت أيضا الانتقادات الموجهة الوظيفية في تطوير حركية الأعمال العلمية والمقاربات النظرية.

إن التحولات العميقة إلى مست المجتمعات الرأسمالية أوجدت "جدلا قويا في أوساط السوسيولوجيين حول قدرة النظرية السوسيولوجية على تفسير التحولات، فكانت تلك بمثابة المقدمات التاريخية والمعرفية لبداية الحديث عن استحالة وجود نظرية شاملة للإمكانيات المنهجية والنظرية لتفسير الظواهر الاجتماعية"[2].

في هذه المرحلة أيضا تعرض الحقل المعرفي في العلوم الاجتماعية إلى نقد شامل قاد ه الفيلسوف الفرنسي كارل بوبر، "وكان السؤال المركزي الذي تعرض له علم الاجتماعي تمحور في الموضوع الأساسي للعلم، هل هو في دراسة الكليات والأنساق الاجتماعية أ م في دراسة سلوكات الأفراد واندماجها"[3].

ومن هنا ظهرت نظريات تحاول تحليل الظواهر الاجتماعية من خلال الفاعلين الاجتماعين.

---

(1). Pierre Delas, Bruno Milly : **Histoire des pensées sociologiques**, Armand Colin, Paris, 2009, p 199.

(2). محمد الغيلاني : **الأسئلة النظرية والمعرفية للمشروع السوسيولوجي في المغرب** في http://ww.maghress.com.almassae/14569/29-09-2008.

(3). أكرم حجازي، **الموجز في النظريات الاجتماعية التقليدية والمعاصرة** ، مجلة علوم إنسانية، العدد 20، أفريل 2005، ص 3.

في ظل هذه التطورات المعرفية الجوهرية نشأ المشروع المعرفي البودوني ذا المرجعية الليبرالية وسليل السوسيولوجيا الأمريكية ، وتكمن أهمية هذه النظرية في كونها جعلت الفرد وحدة أساسية للتحليل السوسيولوجي ،وحررته من ثقل تأثير البنية الاجتماعية ، على اعتبار أنها نظرية موازية للمقاربات الكليانية الشمولية،والتي تعتبر الفرد مجرد لعبة تحركها البنى الاجتماعية.

لذلك يعتبر الإسهام المعرفي البودوني انطلاقة جديدة للسوسيولوجيا الفرنسية التي تميزت بالسجال النظري والإيديولوجي بين النظريات الشمولية والنظريات الفردانية والفعلانية.

الأصول السوسيولوجية لنظرية بودون:

بالإضافة إلى الأصول الاقتصادية لهذه النظرية وتأثيرات علم الاجتماع الأمريكي ذا التوجهات الليبرالية، قام بودون بالحفر في التراث السوسيولوجي الكلاسيكي لتأصيل نظريته،حيث بحث في هذا التراث عن مرجعيات الفردانية المنهجية،وقد بيّن أن أصول نظريته موجودة في أعمال ماركس،فيبر، باريتو و دوركايم وغيرهم.

تحليلا لهذا المرجعيات يعتبر أحد الباحثين أن: "الملفت للانتباه في الطرح البودوني هو تفطنه إلى أن جذور المقاربة الفردانية تمتد حتى لعلماء الاجتماع المعروفين برواد المقاربة الكليانية(L'approche holistique)، على غرار كارل ماركس، وإميل دوركايم . لقد انتهى بودون إلى أن كل التحاليل السوسيولوجية تحتوي بشكل ظاهر أو خفي على مبدأ الفردانية"[1].

(1). زهير بن جنات:**الفردانية في سوسيولوجيات ريمون بودون، العمق النظري و المرتكزات المنهجية**، بمجلة علوم إنسانية، السنة 3، عدد 28، ماي 2006.

يعتبر هذا الباحث حسب هذا الاقتباس أن بودون تفطن لوجود جذور المقاربة الفردانية في أعمال علماء الاجتماع الكلاسيكيين، ولكننا نعتبر أن بودون بحث أيضا عن الشرعية لمشروعه المعرفي في هذا التراث، خاصة الشمولي منه ليواجه مقاربة بورديو التي يعتبرها اجتماعوية (Sociologisme) في كتابه "La logique du social"، نظرية بورديو التي أعطت – في بداياتها الأولى – الأولوية لإكراه البنية الاجتماعية على الفاعلين أو جعلت منهم مجرد دُمى يُحركها المجتمع كيفما شاء.

وقد رأينا في هذا السياق تقديم عرض لحفريات بودون في أعمال كل من فلفريدو باريتو، إميل دوركايم، وماكس فيبر معتمدين في ذلك أساسا على كتاب بودون"La logique du social"[(1)].

1 -حفريات بودون في التراث الباريتي:

وجد بودون في الكلاسيكيات الفعلانية وبالضبط في التصنيف الباريتي للفعل المنطقي والفعل غير المنطقي مرجعية هامة تعطي الأولوية للفعل في التحليل السوسيولوجي، إذ حدد باريتو (1923-1948) حقل علم الاجتماع فيما أسما هالأفعال غير المنطقية (les actions non-logiques) أو الأفعال اللاعقلانية حسب تعبير بودون، وبذلك جعل علم الاجتماع علما للأفعال اللامنطقية، أو الدراسة المنطقية للأفعال غير المنطقية، في حين يدرس علم الاقتصاد الأفعال المنطقية للفاعلين الاجتماعيين والتي تتحدد بثنائية [الوسيلة–الغاية]"فلكي يصبح سلوكا ما منطقيا، لابد أن تكون علاقة الوسائل بالغايات في الحقيقة الموضوعية مناسبة بينهما في وعي الفاعل "، يمكن أن نستخلص من هذا الاقتباس أن الفعل الذي جعله باريتو موضوعا لعلم الاقتصاد يرتبط بفاعل عقلاني واع بالعلاقة بين الوسائل التي

(1). Raymond Boudon : **La logique du social**, Hachette, Paris, 1979, p 29.

يستخدمها والغايات التي يريد تحقيقها . لكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو: ما هي الأفعال غير المنطقية؟

تتشكل الأفعال غير المنطقية من الأفعال التي تكون فيها العلاقة بين الوسائل والغايات التي يستخدمها الفاعل غير واضحة وهي نوعين، "الأفعال غير المنطقية التي ليس لها هدف موضوعي، لكنها تملك غاية ذاتية، ويشمل أغلب السلوكات الطقوسية أو الرمزية...وعموما يمكن القول بأنه يمثل كل الأفعال من النمط الديني، بمعنى كل الأفعال التي تتوجه نحو رمز Un emblème "[1]. و الأفعال التي تربط الوسائل بالغايات ولكن النتائج التي تتحقق في الواقع تكون مخالفة للأهداف التي رسمها الفاعل في وعيه ويمكن توضيح هذا في المخطط التالي[*]:

يشمل هذا النوع السلوكات الموجهة حسب باريتو عن طريق الأوهام، خاصة تلك المرتبطة بالطوبايين والسياسيين والعلماء "عندما يتخيل الطوباويون إنشاء مجتمع دون طبقات اجتماعية أو دون استغلال، أو حتى مجتمع متجانس، فإن نتائج أفعالهم ستكون مخالفة تماما لإيديولوجياتهم"[2].

(1). Raymond Aron, **Les étapes de la pensée sociologique**, Gallimard, Paris, 1976, p 414.

(*) المخطط مستلهم من فقرة في الصفحة 414 من كتاب ريمون آرون " Les étapes de la pensée sociologique".

(2). Ibid, p 414.

وما يمكن اعتبار الأفعال غير المنطقية أنها الأفعال القائمة على الطبيعة الإنسانية فمعظم النشاط الاجتماعي يتكون من هذه الأفعال،لكن الفاعل في الصنفين هو إنسان اجتماعي يملك إرادة فعله (Un homo sociologicus) ، ومن هنا يعتبر بودون التصنيف الباريتي القائم على اعتبار الفعل الاجتماعي اللاعقلاني وحدة التحليل الأساسية في علم الاجتماع وهو أساس مهم بنى عليه مقاربته الفردانية وجعله مرجعية هامة لهذه المقاربة.

2 -المقاربة الفردانية الخفية عند دوركايم :

اعتبر بودون أن المقاربات الشمولية تحمل في طياتها بذور التحليل الفرداني كما هو الحال في "نظرية تقسيم العمل الاجتماعي" و"الانتحار"، وقد استفاض في كتابه "La logique du social" في تحليل وتأويل أفكار دوركايم، وإبراز المقاربة الفردانية الخفية فيها، لذلك توصل إلى أن التفسير الدوركايمي لظهور تقسيم العمل على أنه نتيجة ... للتغيرات المعقدة التي أثارها ارتفاع الحجم والكثافة الاجتماعيين[1].

هذا يعني أن تقسيم العمل الاجتماعي الذي وصلت إليه المجتمعات الصناعية هو نتيجة غير مقصودة لمجموع التغيرات التي حدثت بها، فنظرية دوركايم تتصور ظاهرة تقسيم العمل كنتيجة غير مقصودة لمجموع أفعال مقصودة[2].

هذا يعني أن دوركايم فسّر نشأة هذه الظاهرة باعتبارها أثر غير مقصود(Un effet pervers) وهو من المفاهيم الأساسية التي بنيت عليها نظرية الفردانية–المنهجية.

(1). R. Boudon, **La logique du sociale**, Op.cit, p 45.
(2). Ibid, p 45.

أما ظاهرة الانتحار التي يظهر بأن أسبابها اجتماعية، وتتمثل أساسا في الأنانية L'égoïsme و الأنومي L'anomie إذ ترتفع معدلاتها في المجتمعات الأنومية حيث تمارس أصناف التفاعل ثقل على المفوضين الاجتماعيين Les agents sociaux.

إن القراءة الأولية لنتائج دراسة الانتحار كما حددها دوركايم تعطي الانطباع بأن الأفراد ليسوا فاعلين لأنهم مسحوقون من طرف البنية الاجتماعية على حد تعبير بودون، غير أن تواتر ارتفاع معدلات الانتحار لا يكون في فترات التراجع فقط ولكن أيضا في فترات التطور الاقتصادي، من هنا استنتج بودون أن المنتحر هو فاعل اجتماعي وليس مفوض اجتماعي لأنه مقرر Un décideur، فحينما يقرر كل فرد أن ينتحر تنتج ظاهرة الانتحار، وحينما تتغير الوضعية يتغير القرار على الأقل بالنسبة إلى مجموعة من الفاعلين[1].

وقد فسر ذلك أيضا بكون التغيرات التي تحصل في المجتمع تؤدي إلى زيادة تأثر الفرد نفسيا واقتصاديا واجتماعيا، بما يؤدي إلى احتمال تعرض كل فرد لاحقا إلى الإحباط[2].

3 -ماكس فيبر مؤسس العقلانية:

يستند بودون إلى ماكس فيبر كأحد المرجعيات الأساسية للتيار الفعلاني، ففي سؤال طرحته مجلة Les sciences humaines الفرنسية عليه حول: علمية علم الاجتماع ؟ رد بودون"أن أصل ما نسميه الفردانية المنهجية يرجع أساسا إلى ماكس فيبر"[3].

(1).ترجم مفهوم L'agent social إلى العربية بـ: عميل اجتماعي ووكيل اجتماعي، غير أننا وجدنا أن الهوض الاجتماعي أقرب إلى المعنى الفرنسي، لذلك تبنيناه.

(2). R. Boudon, Ibid, pp.45-46.

(3). R. Boudon, **L'individu et ses intentions**, entretien avec Boudon in l a sociologie : Histoire et idées, Edition sciences humaines, Paris, 2000, p 173.

هذا يعني أن أساس علمية علم الاجتماع هي اعتبار فعل الفرد وحدة التحليل الأساسية، كما يستند بودون أيضا على رسالة بعثها فيبر إلى أحد أصدقائه يتحدث فيها عن علم الاجتماع، أن هذا الأخير، لا يمكنه أن يشتغل إلا على أفعال فرد واحد، أو بعض الأفراد أو العديد من الأفراد المنفصلين لذا عليه أن يتبنى بصرامة مناهج فردانية[1]، وكثيرا ما يرجع بودون إلى أعمال فيبر ليستدل بها، على أساس أنه مؤسس العقلانية.

لقد حاول بودون أن يقدم قراءة جديدة لأعمال علماء الاجتماع الكلاسيكيين ليكشف عن البعد الفرداني في مقاربات هؤلاء، ويؤكد على شرعية مشروعه العلمي.

بعدما تعرضنا إلى الأصول السوسيولوجية لنظرية بودون رأينا أنه من الضروري التعرض أيضا لتيارات الفردانية المنهجية من أجل التعرف على موقع النظرية العامة لبودون لفهم إسهامه في السوسيولوجيا المعاصرة .

فقد ظهرت الفردانية المنهجية بين سنوات الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين في حقل السوسيولوجيا الأنجلو-ساكسونية متأثرة بأفكار الاقتصاديين الليبراليين أيضا ، والنقاشات التي دارت بينهم في القرن التاسع عشر من جهة.

ويرجع المختصون تسمية هذه النظرية إلى جوزيف شومبتير (Joseph Schumpeter) في كتابه "تاريخ التحليل الاقتصادي "، غير أن ريمون بودون(Raymond Boudon) يعتبر أن أصول التسمية ترجع إلى ماكس فيبر، إلا أنها أصبحت أوضح مع شومبتير.

تقوم هذه المقاربة النظرية على فكرة أساسية تعتبر الظواهر الاجتماعية ناتجة عن تجمع الأفعال الفردية للفاعلين الاجتماعيين، غير أنه لا يمكن

(1). Pierre Delas, Bruno Milly, Op.cit, p 199.

الحديث عن نظرية فردانيةمنهجية واحدة بل عن فردانيات منهجية، لأن تعدد التيارات داخلها جعلها تنقسم إلىثلاثة أقسام، يعبر كل تيار فيها عن طرح معين لعقلانية الفاعل، فهي إما

1 -عقلانية مطلقة (Rationalité absolue)

2 -عقلانية محدودة (Rationalité Limité)

3 -عقلانية سياقية (Rationalité contextualisé)

1 -نظريات العقلانية المطلقة:

تمثل هذا التيار الأعمال التي تعطي الأولوية للعقلانية المطلقة للفاعل الاجتماعي،وتربط فعله بثنائية (تكلفة–ربح). ويتمثل هذا التيار كل من:

1-1جورج هومانس(Georges Homans):

اتجهت أعماله في علم الاجتماع نحو البحث في أسس الاجتماع الإنساني وفي مرتكزات التبادلات الإنسانية، "فقد حاول أن يفسر سبب تجمع الأفراد، وأن يكشف الأسس التي ترتكز عليها التبادلات الإنسانية"[1].

فوجد أن أساس هذا الاجتماع يقوم على المنافع التي يحصل عليها هؤلاء من وجودهم مع بعضهم البعض، وتجعل هذه "النظرية سلوك الأفراد عقلاني لأنه يستجيب لمنطق التكاليف والأرباح... هذا يعني أن عقلانية الأفراد الباحثة عن أقصى منفعة هي التي تجعلهم يجتمعون، وبالتالي فإنها أساس تكوين العلاقات الاجتماعية بينهم، وأساس الأفعال الجمعية"[2].

يتصر هذا التيار الحياة الاجتماعية في مجرد حسابات عقلانية ترتبط بالتكاليف والأرباح التي يحصل عليها الفرد في ارتباطه مع الآخرين، وتجعله

(1). Pierre Delas et Bruno Milly, Op.cit, p 363.
(2). Ibid, p 363.

مجرد حاسبUn calculateur، وهي بذلك تبني العلاقات الاجتماعية القائمة بين الفاعلين الاجتماعيين على المصالح الأنانية للفرد وحساباته الاقتصادية.

2-1 مانكير أولسون (Mancure Olson):

يقترب طرح أولسون من طرح هومانس، فقد فسّر ديناميكية الحياة الاجتماعية انطلاقا من بحث الأفراد في تجمعاتهم عن الأرباح القصوى التي يحصلون عليها، كما بين أولسون إن "منطق الفعل الجمعي (L'action collective)، وبشكل الفعل الاجتماعي لا يمكن فهمه دون إحالته لمنطق الأفعال الفردية"[1].

3-1 مدرسة الخيار الجماهيري (*)(Public choice):

ارتبطت أعمال منظري هذه المدرسة بالحقل السياسي في الحياة الاجتماعية من نفس منطلق عقلانية الأفراد القائمة على مبدأ التكاليف والأرباح.

يرىBuchann و Tulloc في دراسة ظاهرة الانتخابات السياسية أن "السياسي لكل فرد يبحث عن رفع منفعته ف انتخابه أو إعادة انتخابه هي محركات أساسية لفعله"[2].

2 -نظرية العقلانية المحدودة:

يمثل هذا التيار كل من هربرت سيمون Herbert Simon،ألبير هيرشمان Albert Hirchmane ، ميشال كروزيهوفريدبرغ، اعتبر منظرو هذا التي ار عقلانية الفرد محدودة ونسبية "وأضافوا مفهومي: (المخاطرة Le risque والارتياب L'incertitude).أما أعمال ميشال كروزيهوفريد بيغ في دراسة التنظيمات فقد جعلت لإستراتيجيات الفاعل، وعلاقات السلطة، بالإضافة

(1). Ibid, p 368.

(*)تسمى أيضا مدرسة فرجينيا.

(2). Ibid, p 368.

إلى مناطق الارتياب (Les zones d'incertitude)دورا محوريا في كل أنماط التنظيمات والأفعال الجمعية[1].

3 -الفردانية المنهجية السياقية L'individualisme Méthodologique Contextualisé :

يمثل هذا الاتجاه ريمون بودون الذي تختلف مقاربته عن باقي المقاربات السابقة الذكر في كونها تربط الفاعل بالبنية الاجتماعية.

وتقوم نظرية بودون على مبدأ Postulat أساسي هو :أن الفاعل العقلاني يأخذ في حسبانه إكراهات البنية الاجتماعية، لذلك فهو لم يحرر الفاعل نهائيا من البيئة الاجتماعية، ولم يجعله يتصرف وفقا لثنائية تكلفة/ ربح فقط كما هو الحال بالنسبة إلى الإنسان الاقتصادي L'homo economicus الذي يتميز بعقلانية خالصة أو مطلقة، كما رفض بودون الحتمية الماكرو-بنيوية ولم يعترف بالسلطة المطلقة للبنية الاجتماعية على أفعال الفاعلين الاجتماعيين.

وينبني التحليل البودوني على مجموعة مبادئ نظرية ومنهجية، تتمثل أساسا فيما يلي:

أ. مبدأ الفردانية (Postulat de l'individualisme): يقوم هذا المبدأ على فكرة جوهرية مفادها أن الفاعل هو الذرة المنطقية (L'atome logique) لأي محاولة تحليل سوسيولوجي، فعلى "عالم الاجتماع أن يقيم قاعدة منهجية لاعتبار الأفراد أو الفاعلين الفرديين المنتمين إلى نظام تفاعل كذرات منطقية في تحليله "[2]. إذ ينتمي الأفراد إلى أنساق تفاعل تفرض عليهم إكراهات فتنبني لديهم الدوافع، وبالتالي الأفعال، "فالفاعل لا يتحرك في فراغ مؤسساتي واجتماعي، ولكن بمجرد أن يقع فعله في سياق الإكراهات بمعنى

(1). Ibid, p 373.
(2). R. Boudon, Op.cit, p 82.

العناصر التي يتقبلها كمعطيات تفرض نفسها عليه، لا يعني أننا نستطيع أن تجعل من سلوكه نتيجة حتمية لهذه الإكراهات"[1].

يزاوج بودون بين عقلانية الفاعل وتأثير السياق الذي ينتج اختيارات هذا الفاعل "إذ ليس هنا من مجال حسبه لنفي أثر البني في الفعل الفردي ولكن ذلك لا يعني أن يتحدد وفقها ولكنها تساهم جزئيا في تحديد اختيارات الفاعل"[2].

ب. مبدأ الفهم (Postulat de la compréhension): يستند هذا المجال على منظور ماكس فيبر القائم على عنصري الفهم والتفسير. فالتحليل السوسيولوجي الفرداني يقوم على الفهم كميكانيزم محوري لمعرفة جوهر الظواهر الاجتماعية الناتجة عن الأفعال والمعتقدات والمواقف الفردية.

فالفهم يقوم على البحث عن معنى السلوكات الفردية التي تشكل أساس الظاهرة الاجتماعية، أي الإجابة عن السؤال لماذا؟

ج. مبدأ العقلانية (Postulat de la rationalité) : استعارت النظريات السوسيولوجية الفردانية مفهوم العقلانية من علم الاقتصاد ، لكن العقلانية التي يعتمد عليها بودون في تفسير خيارات الفاعل ثم أفعاله ليست عقلانية خالصة، ولكنها مرتبطة بإكراهات موضوعية خارجية، فأفعال ومعتقدات الفاعل مبنية على المعاني التي تحملها انطلاقا من الغايات التي تسعى إلى تحقيقها، ولكنها من نو ع معقد لا يمكن فهمها انطلاقا من نموذج باريتو الذي عرضناه سابقا.

(1). Ibid, p 52.

(2). زهير بن جنات، مرجع سبق ذكره.

تشكل المفاهيم التي أنتجتها هذه النظرية بالإضافة إلى المبادئ التي تقوم عليها قاعدة أساسية لفهم المقاربة البودونية بعمق، ولرصد الاختلاف بينها وبين الفردانيات المنهجية الأخرى.

وتندرج هذه المفاهيم في إطار نسق عام يعبر عن المثانة النظرية والمنهجية لهذه النظرية، فقد جعل بودون من مفهومي "آثار التجميع" والآثار غير المتوقعة الأساس الذي بنى علي هـ تحليله السوسيولوجي من المدخل الفرداني فالظواهر الاجتماعية منشأها فرداني مرتبط بالسياق والإكراه الاجتماعيين، وقد يفضي إلى نتائج أو آثار غير متوقعة، كما أن الفاعل هنا ليس إنسانا اقتصاديا (un homo economicus) تحركه عقلانية مغالية ولكنه إنسان اجتماعي un homo sociologicus تتأثر عقلانيته بالمحيط الاجتماعي التي تتواجد فيه و ينسق التفاعلات الاجتماعية.

ويعتبر بودون من الذين قدموا عدة مفهوماتية هامة للرصيد المفهوماتي السوسيولوجي، ويمكن رصد أهمها فيما يلي:

أ. أثر التجميع(L'effet d'agrégation) :

يقوم تحديد هذا المفهوم على أحد المبادئ الأساسية التي أسست النظرية والتي تعبر عن نشأة الظواهر الاجتماعية كنتيجة لتجميع الأفعال الفردية في وضعيات تفاعلية، وفي علاقتها مع إكراهات البنية التي تنشأ فيها هذه الأفعال.

إذ تتجمع الأفعال الفردية فتنتج أثرا ماكرو سيوسيولوجيا قابلا للملاحظة والفهم،ولكن ذلك لا يعني أن الأفراد يتصرفون عن قصد وبشكل معين لإنتاج ظاهرة ما، فهذه الأخيرة تنشأ لذاتها على اعتبار أن لا أحد من المساهمين قصد إنتاجها"[1].

(1). زهير بن جنات، مرجع سبق ذكره.

ب.الأثر غير المتوقع(L'effet pervers):

تنشأ الآثار غير المتوقعة نتيجة الأفعال الفردية أيضا، في صورها المنعزلة وفي نفس علاقتها مع البنية الاجتماعية. "ويعبر عن المفهوم عن النتيجة غير المرغوب فيها لتجمع أفعال فردية مستقلة مستهدفة غاية عقلانية[1].

أخيرا يمكن القول إن نظرية بودون أثرت بعمق على مسار السوسيولوجيا المعاصرة، من خلال الإضافة النظرية والمنهجية، إذ حررت حقل المعرفة السوسيولوجية من هيمنة المقاربات الكليانية، وقدمت مشروعا معرفيا أصيلا.

(1). Pierre Delas et Bruno Milly, Op.cit, p 380.

قائمة المراجع:

1 -أكرم حجازي، الموجز في النظريات الاجتماعية التقليدية و المعاصرة، مجلة علوم إنسانية، العدد 20، أفريل2005.

2 -زهير بن جنات، الفردانية في سوسيولوجيات ريمون بودون، العمق النظري والمرتكزات المنه جية، بمجلة علوم إنسانية، السنة 3، عدد 28، ماي 2006.

3 -محمد الغيلاني، الأسئلة النظرية والمعرفية للمشروع السوسيولوجي في المغرب، http://www.maghress.com.almassae/29-09-2000.

4- Pierre Delas, Bruno Milly, Histoire des pensées sociologiques, Armand Colin, Paris, 2009.

5- R.Boudon, L'individu et ses intentions, entretien avec Boudon in la sociologie : Histoire et idées, Edition sciences humaines, Paris, 2000.

6- Raymond Boudon, La logique du social, Hachette, Paris, 1979.

7- Raymond Aron, Les étapes de la pensée sociologique, Gallimard, Paris, 1976.